بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مقامات الحريرى

١ ـ لم يبلغ كتاب من كتب الأدب مابلغته هذه المقامات ـ التى أبدع إنشاءها الأستاذ الرئيس أبو محمد القاسم بن علىّ الحريرىّ ـ من نباهة الذكر، وبعد الصيت، واستطارة الشهرة. فإنه لم تكد تصدر منها النسخة الأولى فى بغداد حتى أقبل الوراقون على كتابتها، والعلماء على قراءتها عليه من شتى الجهات؛ ذكروا أن الحريرى وقع بخطه فى شهور سنة أربع عشرة وخمسمائة على سبعمائة نسخة[1]؛ كما أن العلماء فى جميع الأقطار العربية أخذوا يتدارسونها فى المدارس والمعاهد، ويقرءونها فى الأندية والمحافل، بل إن شهرتها امتدت فى حياته إلى الأندلس، فوفد فريق من علمائها على الحريرىّ ببغداد ـ منهم الحسن بن علىّ البطَليوسى، والحجاج بن يوسف القضاعى، وأبو القاسم عيسى ابن جهور ـ وقرءوا عليه بمنزله هذه المقامات، ثم عادوا إلى بلادهم حيث تلقاها عنهم العلماء والأدباء، وتناولوها رواية وحفظاً، ومدارسة وشرحاً..

ولمؤرخى الآداب العربية أقوال مختلفة فى سبب إنشائها..

نقل ياقوت عن عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد النقور البزاز ببغداد، قال: سمعت الرئيس أبا محمد القاسم بن علىّ الحريرى صاحب المقامات. يقول: أبو زيد

---

(١) معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٧.

السَّرُوجيّ ، كان شيخاً شحاذا بليغاً ، ومكدياً فصيحا ، ورد علينا البصرة ، فوقف يوماً فى مسجد بنى حرام ، فسلّم ثم سأل الناس — وكان بعض الولاة حاضرا ، والمسجد غاص بالفضلاء — فأعجبتهم فصاحته ، وحسن صياغة كلامه وملاحته ، ثم ذكر أسر الروم ولده . . واجتمع عندى عشية ذلك اليوم جماعة من فضلاء البصرة وعلمائها ، فحكيت لهم ماشاهدت من ذلك السائل ، وما سمعت من لطافة عبارته وتحقيق مراده ، وظرافة إشارته فى تسهيل إيراده ؛ فحكى كل واحد من جلسائه أنه شاهد من هذا السائل ومجلسه مثل ماشاهدت ، وأنه سمع منه فى معنى آخر فصلا أحسن مما سمعت ، وكان يغيّر فى كل مسجد زِيَّه وشكله ، ويُظهر فى فنون الحيل فضله ، فتعجبوا من جريانه فى ميدانه ، وتصرفه فى تلوّن إحسانه . فأنشأت المقامة الحرامية ، ثم بنيت عليها سائر المقامات ، وكان أول شىء صنعته . وذكر ابن الجوزى هذه الحكاية فى تاريخه ، وزاد فيها أن الحريرى عرض هذه المقامة الحرامية على أنوشروان بن خالد وزير السلطان ، فاستحسنها ، وأمره أن يضيف إليها ما شاكلها ، فأتمها خمسين مقامة[1].

وفى رواية لابن خلكان ، قال : لما عمل الحريرىّ المقامات أنشأها على أربعين مقامة ، وحملها من البصرة إلى بغداد ، وادعاها ، فلم يصدق ذلك جماعة من أدباء بغداد ، وقالوا: إنها ليست من تصنيفه ، بل هى لرجل مغربىٍّ من أهل البلاغة مات بالبصرة ، ووقعت أوراقه إليه ، فادّعاها. فاستدعاه الوزير إلى الديوان وسأله عن صناعته ، فقال : أنا رجل منشىء ، فاقترح عليه إنشاء رسالة فى واقعة بعينها ، فانفرد فى ناحية من الديوان ، وأخذ الدواة والورقة ، ومكث زمانا كثيرا ، فلم يفتح الله عليه بشىء من ذلك ، فقام وهو خجلان ، وكان فى جملة

---

(١) معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٣ .

من أنكر دعواه فى عملها أبو القاسم علىّ بن أفلح الشاعر ، فلما لم يعمل الحريرىّ الرسالة التى اقترحها الوزير أنشأ ابن مفلح :

شيخٌ لنا من ربيعة الفرسِ يَنْتِفُ عُثْنُونَهُ من الهوَس
أنطقه الله بالمشانِ كما رَمَاهُ وَسْطَ الديوان بالخرس

وكان الحريرىّ يزعم أنه من ربيعة الفرس ، وكان مولعاً بنتف لحيته عند الفكرة ، وكان يسكن مشارف البصرة ، فلما رجع إلى بلده عمل عشر مقامات أخَر ، وسيرهنّ إليه ، واعتذر من عِيِّه وحصَره فى الديوان لما لحقَه من المهابة (١) .

وقال ابن خلكان أيضاً : رأيت فى شهور سنة ستّ وخمسين وخمسمائة بالقاهرة المحروسة نسخة مقامات ، وجميعها بخط مصنفها الحريرىّ ، وقد كتب أيضا بخطّه على ظهرها أنه صنفها للوزير جمال الدين عميد الدولة أبى علىّ الحسن ابن أبى العز علىّ بن صدقة وزير المسترشد ... قال : ولاشك أن هذه الرواية أصح لكونها بخط المصنّف (٢) .

٢ـ وقد نسب الحريرىّ رواية هذه المقامات إلى الحارث بن همام ، وعَنَى بهذا الاسم نفسه ، ونظر فى ذلك إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « كلكم حارث وكلُّكم همام » ، فالحارث الكاسب ، والهمام كثير الاهتمام بأموره ، وما من شخص إلا وهو حارث وهمام .

وجعل بطل هذه المقامات أبا زيد السروجىّ ؛ وتختلف الروايات أيضا فى حقيقة أمره ، فمن قائل : إنه اسم خيالىّ وضعه الحريرىّ واستوحاه من صورة الشحاذ الذى لقيه فى مسجد بنى حرام بالبصرة . ومن قائل بأنه كنية اسم حقيقى

---

(١) ابن خلكان ١ : ٤٢٠ . (٢) ابن خلكان ١ : ٤٢٠ .

لرجل اسمه المطهر بن سلام ، ذكره القفطى فى إنباه الرواة ضمن تراجم النحاة ، وقال فى حقه : صاحب أبى محمد القاسم بن علىّ الحريرى البصرىّ ، أنشأ المقامات على لسانه ، وكان فيه فضل وأدب ، وله معرفة بالنحو واللغة والعربية ، قرأ على أبى محمد الحريرىّ بالبصرة ، وتخرّج به ، وروى عنه [1] .

وأيًّا كان الخلاف حول سبب إنشاء هذه المقامات وبطلها أبى زيد ، فإنّ هذه المقامات عملٌ فنىّ رائع منقطع القَرين ، حوى من متخيَّر الألفاظ ومنتخل الأساليب وناصع البيان ، مع إحكام السبك وإشراق الديباجة والبعد عن الركاكة والابتذال ـ ماجعلها قمة فى الآداب العربية ترتفع عن مقام المتحدّى والمعارض على السواء . وقد صاغها مجالس متنوعة تختلف موضوعاتها باختلاف البلاد التى تخيل أنّه زارها ، ورحل إليها ، ما بين فرغانة وغانة ، وأفرغها فى قوالب طريفة فى الأدب والنقد والوعظ والفكاهة ، يتخلّلها وصف للمجتمع وأحوال الناس ، وجعلها فى أسلوب السجع الكامل ، بعد أن وشّاها بألوان البديع من الجناس والطباق والمقابلة ، أو كما يقول المؤلف فى صدر كتابه : أنشأت على ما أعانيه من قريحة جامدة ، وفطنة خامدة — خمسين مقامة تحتوى على جِدّ القول وهزله ، ورقيق اللفظ وجزله ، وغرر البيان ودرره ، وملح الأدب ونوادره ، إلى ما وشّحتها به من الآيات ، ومحاسن الكنايات ، ورصعته فيها من الأمثال العربية ، واللطائف الأدبية ، والأحاجى النحوية ، والفتاوى اللغوية ، والرسائل المبتكرة ، والخطب المحبَّرة ، والمواعظ المبكية ، والأضاحيك الملهية .

وكان أول لقاء وقع بين الحارث بن همام وأبى زيد السروجىّ فى صنعاء ؛ وكانا فى رُواء الشباب وربيع العمر ، حيث لقى الحارث أبا زيد خطيبا واعظا ، ثم عرفه بعد ذلك مخادعا مخاتلا ، وعليه بنى الحريرىّ المقامة الأولى وأسماها المقامة الصنعانية . ثم

---

(١) إنباه الرواة ٣ : ٢٧٦

أخذ الحارث يقطع الأسفار ، ويجوب الفيافى والقفار ؛ ليلقى أبا زيد ؛ مرةً فى ساحة القضاء ، وأخرى فى مجالس الولاة ، وآونة فى أندية الأدباء ؛ واعظا أو شاعرا ، أو شحاذا أو مخاصما؛ ثم يمضى بهما العمر وتتابَعُ الأيام؛ إلى أن يلتقيا فى أخريات عمرهما بالمسجد الجامع بالبصرة بعد أن خلُقت جِدّتهما، وذوى عودهما، ورثَّ بُرْد شبابهما؛ وإذا أبو زيد يقف فى حشد الناس ؛ يعلن توبته ، ويندم على ما قدم من ذنوب وآثام، وينشد:

أستغفر الله من ذنوب أفرطت فيهنّ واعتديتُ
كم خضت بحر الضلال جهلا ورحت فى الغىّ واعتديتُ
وكم تناهيت فى التخطّى إلى الخطايا وما انتهيت
فليْتَنِى كنت قبل هذا نسيا ولم أجْنِ ما جنيتُ
يارب عفواً ، فأنت أهل للعفو عنى ، وإنْ عصيت

ثم يختفى أبو زيد ويعود إلى بلده سَرُوج ، يلبس الصوف، ويؤُمّ الصفوف ، ويجنح الحارث بعدها إلى الراحة ويكفّ عن الأسفار ؛ ويكون هذا آخر لقاء بينهما ، وبه تنتهى المقامة الخمسون ، آخر المقامات .

٣ـ ولم يكن الحريرى مبتدع فنّ المقامات ولا أبا عُذْرها ، بل سبقه إلى هذا الفن بديع الزمان الهمذَانى ، وإلى ذلك يشير بقوله فى صدر المقامات يتحدّثُ عمّن سبقه : هذا مع اعترافى بأن البديع رحمه الله سبّاقُ غايات ، وصاحب آيات ، وأن المُتَصَدِّىَ بعده لإنشاء مقامة ، ولو أوتىَ بلاغة قدامة ، لا يغترف إلا من فُضالته ، ولا يسرى هذا المسرى إلا بدلالته ؛ ولله درّ القائل :

فلا قبل مبكاها بكيت صبابة
بسعدى شفيت النفْس قبل التندّمِ

ولـكن بَكَتْ قَبْلِي فهيّج لى البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدِّم

ومع ذلك فإن من جاء بعدهما من كتّاب المقامات ؛ إنما قصد محاكاة الحريرىّ والنسج على منواله ،والسّير فى دربه ؛ فمنهم من حاول ولم يوفَّق، ومنهم من عمل ولـكنه أخفقَ . . .

فمِمّن حاول ذلك علىّ بن الحسن بن عنتر المعروف بالشميم الحِلّىّ، قال ياقوت: وردتُ آمِد فى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة وأنا فى عنفوان الشّباب وريْعه ؛ فبلغنى أن بها علىّ بن الحسن بن عنتر المعروف بالشميم الحلىّ — وكان من العلم بمكان مَكين ، واعتلق من حباله بركن ركين ؛ إلا أنه كان لا يقيم لأحد من أهل العلم المتقدمين ولا المتأخرين وزنا ، ولا يعتقد لأحد فضيلة ، ولا يقرّ لأحد بإحسان فى شىء من العلوم ولا حُسْن ،فحضرْتُ عنده ، وسمعت من لفظه إزراءه على أولى الفضل ،وتنديده بالعيب عليهم بالقول والفعل ؛ فلما أبرمنى وأضجر ، وامتدّ فى غيِّه وأصحر ،قلت له : أما كان فيمن تقدّم على كثرتهم وشغَف الناس بهم عندك مجيد قط ! فقال : لا أعلم إلا أن يكون ثلاثة رجال : المتنبى فى مديحه خاصة ، ولو سلـكت طريقه لما برّز علىّ ، ولسقت فضيلته نحوى ونسبتها إلىّ ، والثانى ابن نباته فى خطبه ،وإن كانت خَطَبى أحسن منها وأشهر ، وأظهر عند الناس قاطبة وأشهر . والثالث ابن الحريرىّ فى مقاماته . قلت : فما منعك أن تسلك طريقته ، وتنشد مقاماتٍ تخمد بها جمرته وتملِكُ دولته ؟ فقال : يابنىّ ، الرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل ؛ ولقد أنشأتها ثلاث مرات ، ثم أتأملها فأسترذِلها ، وأعمد إلى البركة فأغسلها ؛ ثم قال: وما أظنُّ الله خلقنى إلا لإظهار فضل الحريرىّ [1] !

ومنهم أبو الطاهر محمد التميمىّ السرقسطىّ الأشتراكوبىّ [2] المتوفى بقرطبة سنة

(١) معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٧ ـ ٢٦٩ .

(٢) منسوب إلى أشتركوى ، من أعمال تطيلة ، من بلاد الأندلس .

٥٣٨ ، أنشأ كتاب «الخمسين مقامة اللزومية»[1] عارض بها مقامات الحريرى، ولزم فى نثرها مالا يلزم ، متأثّرا بالمعرّى فى لزومياته، فأبعد النجعة، وأتعب خاطره، وكدّ ذهنه ، وأسهر جفنه ، وصعّب على نفسه المسالك ، وقيّد كلامه نظما ونثرا. واتخذ راويه المنذر بن همام، وجعل بطله السائب بن تمام ؛ ولكنّ هذه المقامات ذهبت بها عوادى الأيام ، فلم تصل إلينا .

ثم قام جار الله محمود بن عمر الزمخشرىّ المتوفى سنة ٥٣٨ أيضا ، فأنشأ مائة مقامة كالمقالة ، تدور كلها حول الوعظ ؛ ولكن ليس فيها راوٍ ،ولا بطل ؛ بل خاطب فى جميعها نفسه ، وذكّرها بالآخرة ، ورغبها فى الأعمال التى تؤدى بها إلى نعيم الله ورضوانه .. وكأنّ الزمخشرى أحسّ فى هذه المقامات بقصوره عن غاية الحريرى ، وبُعده عن مداه ، فقال :

أقسم بالله وآياته ومشعر الحج وميقاتِهِ
أن الحريرىّ حرىّ بأن نَكتُب بالتّبر مقاماتهِ

ثم توالى المقلّدون جيلا بعد جيل ، كابن الجوزى وأبى العلاء أحمد بن أبى بكر الرازىّ وابن ناقيا وابن الصيقل الجزرىّ وابن حبيب الحلبىّ وابن الوردىّ والسيوطىّ وغيرهم ؛ إلى أن انتهى إلى خاتمة المقلدين الشيخ ناصيف اليازجى ، أحد أعيان البيان بلبنان فى القرن التاسع عشر الميلادى؛ فدرس مقامات الحريرى وحفظها ، ثم أخذ يروض قلمه على مقامات تنحو نحوها ؛ وتسلك نهجها ، وما زال يلتمس الوسائل ، ويتطلّب الذرائع ، ويرتاد نواحى الظفر ، ويتوخّى وجوه النُّجح، حتى عمل أكثر من ستين مقامة سماها «مجمع البحرين» ، أى النثر والنظم ؛ وجعل راويها سهيل بن عباد ،وبطلها ميمون بن حزام ؛

(١) فهرست ابن خير ٣٨٧

وتنقّل بسهيل بن عباد فى البلدان — كما تنقل الحريرىّ بالحارث بن همام — ليلقى ميمون بن حزام ، سالكا مسالك أبى زيد فى المكايد وطرق التنكّر والتعلّق بفصيح الكلام ...

وعلى الرغم من دقة المحاكاة فى بعض هذه المحاولات ، فإن الحريرىّ يبقى منفردا بفنّه ، واحداً فى أسلوبه ؛ لايدانيه أحد منهم فى نثره أو نظمه ، بَذَّ من قبله، وأتعب مَن بعده، وستظلّ مقاماته من أجود ماجادت به القرائح ، وأجل مانضحت به الأقلام ؛ على مرّ العصور والأيام . .

٤ ـ وإن كان لهذه المقامات منزلة عند القدماء ، عبر عنها ياقوت بقوله : « وافقه من السعد مالم يوافق مثله كتاب ، جمع بين الجودة والبلاغة واتّسعت له الألفاظ ، حتى أخذ بأرقها وملك ربقتها ، وأحسن نسقها ؛ حتى لو ادّعى الإعجاز لما وجد من يدفع صدره ، ولا يردّ قوله ، ولا يأتى بما يقاربها ، فضلا عن أن يأتىَ بمثلها ، ثم رزقت مع ذلك من الشهرة وبعد الصيت والاتفاق على استحسانها من الموافق والمخالف ما استحقت به وأكثر . . . » ، ـ فإنها لم تخل من نَقْدِ بعضهم وتجريحهم له ؛ منهم ابن الأثير فى المثل السائر وابن الطقطقى فى الآداب السلطانية .

ومن أشهر من نال منه أبو محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد المعروف بابن الخشاب ، وضع رسالة جمع فيها المآخذ التى وقع عليها فى المقامات؛ قال فى مقدمتها : « وله أشياء فى أثناء مقاماته لورجع فيها لأقرّ مع الإنصاف بالخطأ ساكتاً فسلّم ، أو لنازع مباهتاً . وأنا أسوقها على التوالى موضعا فموضعاً، مع تمهيد عذره ؛ لقلّتها فى جنب صوابه ، وما مر به من المحاسن فى أثناء كتابه ، علماً بأن الكامل من عُدَّت سقطاته ، والفاضل من أحصيت هفواته » .

وقد قام الإمام عبد الله بن برى فألف رسالة انتصر فيها للحريرىّ من

مآخذ ابن الخشاب ثم جاء عبد اللطيف بن يوسف البغدادى ، فنصب نفسه حكماً بينهما ، ووضع رسالة أسماها الإنصاف بين ابن برى وابن الخشاب فى كلامهما على المقامات .

٥ـ وبجانب الحركة الفكرية والأدبية التى أحدثتها المقامات فى المشرق ؛ فى العراق والشام ومصر ، فإنّ مثل هذه الحركة قامت فى الغرب أيضا ؛ فى أسبانيا وإنجلترا وفرنسا وألمانيا ؛ وكان أول ماعمِل من ذلك ماقام به المستشرق الهولندى جوليوس سنة ١٦٥٦م ، من ترجمة المقامة الأولى إلى اللغة اللاتينية ، ونشَرها فى الطبعة الثانية لكتاب تعليم اللغة العربية أربينيوس فى ليدن . ثم نقل المستشرق الهولندى شولتنس ست مقامات بين سنتى ١٧٣١ ، ١٧٤٠م ونقل بعده ڤانتوردى پارادى منتخبات من سبع عشرة مقامة بين سنتى ١٧٨٦م و١٧٩٥ إلى اللاتينية أيضا .

وفى فرنسا قام المستشرق كوسان دى پرسڤال بنشر المتن العربى الكامل ، وطبع سنة ١٨١٢ م كما قام الأستاذ دى ساسى بجمع مخطوطات المقامات وشروحها ، وعمل منها شرحاً عربيًّا ، وطبع المتن والشرح فى باريس سنة ١٨٢٢م ، ثم طبع مرة أخرى فى باريس أيضا بين سنتى ١٨٤٧ ، ١٨٥٣م ، واشتهرت هذه الطبعة فى الشرق والغرب ، وتصدى لها بالنقد الشيخ ناصيف اليازجى .

أما فى ألمانيا ، فقد قام العلامة رُكَرت ، وترجم هذه المقامات سجعا باللغة الألمانية ، وقد اقتضى منه ذلك جهدا فى استعمال كلمات نادرة الاستعمال فى هذه اللغة حتى قال بعض النقاد الألمان : إن رَكَرْت أجبر لغته على الألعاب الرياضية الشاقة ؛ وقد تمتّعت هذه الترجمة بشهرة عظيمة فى عالم الاستشراق .

وفى اللغة الإنجليزية قام تشنرى بترجمتها إلى اللغة الإنجليزية فى سنة ١٨٦٧م وتبعه استجاس فترجمها أيضا فى سنة ١٨٩٨م .

وفى أسبانيا ترجم الشاعر اليهودى يوراى الحريزى هذه المقامات إلى العبرية، وطبعت هذه الترجمة فى لندن سنة ١٨٧٢ م.

وفى كثرة هذه التراجم والطبعات دلالة على ماناله الحريرى فى الحلقات الاستشراقية من التقدير فى نواحى الغرب[١] .

٦ ـ وقد كانت المقامات من أوائل ماطبع من الكتب العربية ؛ وأول طبعة لها كانت هى الطبعة التى ذكرت أنها كانت فى باريس سنة ١٨١٩م بعناية كوسان دى برسفال، ثم توالت طبعاتها بعد ذلك فى باريس ولندن وليدن وكلكته ولكناو ودهلى بالهند وبولاق والقاهرة وتبريز وبيروت[٢] .

أما النسخ الخطية من هذه المقامات فلا تكاد تخلو مكتبة من المكتبات العربية فى الشرق والغرب من عدد وافر منها متناً أوشرحا ، وفى دار الكتب المصرية من المقامات أكثر من ثمان وعشرين نسخة ؛ غالبها نفيس، ومنها نسخة برقم ١٠٥ ـ أدب منقولة من خط المؤلف بعد سماعها عليه، وفى أولها إجازة بخطه ، ونسخة برقم ٤٤٧٩ ـ أدب طلعت ، وعليها خط المؤلف أيضا ، ونسخة برقم ٢٥٩ ـ أدب ، عليها سماعات مؤرخة سنة ٦٦٣ ، ونسخة بخط مرتضى الزبيدى كتبت سنة ١١٦٥ ، ونسخة برقم ١٥٢٩ ـ أدب بخط ابن نجدة كتبت سنة ٧٢٩، هذا عدا النسخ الخطية المشروحة[٣] .

---

(١) أفدت هذه المعارف الاستشراقية ؛ مما كتب به إلىّ العلامة الدكتور أرنست بانرت أستاذ اللغات الشرقية فى جامعة فينا .

(٢) انظر معجم المطبوعات العربية لسركيس ٧٤٨ ، ٧٤٩

(٣) انظر فهارس دار الكتب .

صاحب المقامات

١ ـ ومؤلف المقامات هو الرئيس أبو محمد القاسم بن على بن محمد بن عثمان الحريرىّ منسوبا إلى صناعة الحرير أو بيعه ، ولد سنة ٤٤٦ هـ بالمشان ، وهى قرية قرب البصرة ، ثم رحل إلى البصرة وسكن فى محلة بنى حرام ـ وهم قبيلة من العرب سكنوا بالبصرة ـ وتأدب بها ، وقرأ العربية على أبى الحسن بن فضّال المجاشعىّ شيخ إمام الحرمين ، والفقه على أبى إسحاق الشيرازى . وعُيِّن صاحب الخبر بالبصرة ؛ وهو منصب ظل به إلى أن مات ، فتوارثه أولاده من بعده ، وظلّ فيهم إلى عهد العماد الأصبهانىّ الذى زار البصرة سنة ٥٥٦ هـ .

وكان الحريرىّ ـ إلى جانب علمه وأدبه وتمرسه بفنون العربية جميعها ـ من ذوى الجاه واليسار ، كان له بالمشان أكثر من ثمانية عشر ألف نخلة ، يغلها ويتردد عليها ، وكان له منزل بالبصرة يقصده الأدباء والعلماء يقرءون عليه أو يفيدون من علمه ، وخاصّة بعد أن ألف المقامات وذاعَ أمرها بين الناس. وكان مرهف الشعور صادق الحسّ والتخمين ، حكى أنه زاره شخص غريب ليأخذ عنه شيئا ؛ فلما رآه استزرى شكله . ففهم الحريرىّ ذلك منه ، فلما التمس منه أن يُمْلِىَ عليه قال له : اكتب :

ما أنت أول سارٍ غَرَّهُ قَمَرٌ ... ورائد أعجبته خُضرة الدِّمَنِ
فاختر لنفسك غيرى إننى رجل ... مثل المعيدىّ فاسمعْ بى ولا ترنى

فخجل الرجل وانصرف عنه .

٢ ـ وللحريرىّ ديوان رسائل أورد ياقوت شيئا منها ، وله الرسالة السينية التزم فى جميع كلماتها حرف السين ، والرسالة الشينية التزم فى جميع كلماتها حرف الشين ، أوردهما ياقوت أيضا .

وله شعر فى غير المقامات ، ذكر منه ابن خلكان قوله :

قال العواذل ماهذا الغرامُ بِهِ ... أما ترى الشَّعر فى خَدَّيْهِ قد نبَتا

فقلت والله لو أن المفنّد لى تأمل الرشد فى عينيه ماثبتا
ومن أقام بأرض وهى مجدِبة فكيف يرحل عنها والربيع أتَى !

وأورد له صاحب الخريدة :

كم ظبـــاء بحاجرٍ فتنت بالمحـــاجر
ونفوسٍ نفائسٍ خُـدرت بالمخـــادرِ
وتَثَنٍّ لخـــاطرٍ هاج وجـــدًا لخاطر
وعِـــــذار لأجله عاذلى عـــاد عاذرى
وشجون تضـافرت عنـد كشف الضفائر

وأورد له ياقوت :

لاتخطونّ إلى خِطّء ولاخطإٍ من بعد ماالشيب فى فوديك قد وَخَطا
وأىّ عذر لمن شابت ذوائبـه إذا سرى فى ميادين الصبا وخطا

وله غير الشعر والرسائل والمقامات مايأتى :

١ — درة الغواص فى أوهام الخواصّ ، بيّن فيه أغلاط الكتاب فيما يستعملونه من الألفاظ بغير معناه فى غير موضعه . طبع فى مصر سنة ١٢٧٢ هـ ، وفى ليبسك سنة ١٨٧١ م ، وطبع مع شرح الخفاجى فى الآستانة سنة ١٢٩٩هـ .

٢ — ملحة الأعراب فى صناعة الإعراب ، وهى أرجوزة ، وأولها :

أقول من بعد افتتاح القول بحمدِ ذى الطول شديد الحول

طبعت فى باريس وبيروت ومصر ، وقد شرحها بحرق الحضرمىّ ، وأسمى الشرح « تحفة الأحباب وطرفة الأصحاب » ، وطبع بمصر مرارا أيضا .

٣ — قصيدة من وزن الخفيف ، منها نسخة مخطوطه فى مكتبة برلين برقم ٧٧٩ ، وأوردها السيوطىّ فى المزهر ١ : ٢٨٦ — ٢٨٨ ، وأولها :

أيُّها السائلى عن الظاء والضّا دِ لكيلا تُضِلّه الألفاظُ

١ ـ وتعتبر مقامات الحريرىّ أكثر الكتب حظًّا فيما وقع لها من شروح ، وما أديرَ حولها من تعاليق ، أحصى صاحب كشف الظنون أكثر من خمسة وثلاثين شارحا ، منهم محمد بن علىّ بن عبد الله الحلىّ ، ومحمد بن علىّ المعروف بابن حميدة ، ومحمد بن محمد المكى الصقلى المعروف بابن ظفر ، وأبو المظفر محمد بن أسعد المعروف بابن حكيم ، وعلىّ بن الحسن المعروف بشميم الحلى ، وسليمان بن عبد الباقى بن سلامه الضرير ، والشهاب الحجازى ، وعبد الله بن الحسين العكبرى ، وقاسم بن قاسم الواسطى ، عبد اللطيف بن يوسف البغدادى ، وأبو الفتح ناصر بن السيد المطرزى ، ومحمد بن عبد الرحمن محمد بن مسعود الفندجيهىّ ، وأحمد بن عبد المؤمن القيسىّ المعروف بالشريشىّ ، وسليمان ابن عبد القوى الحنبلى العروف بنجم الدين الطوفى ، وأحمد بن المظفر الرازى وغيرهم .

وممن قام بشرحها من المتأخرين المستشرق دى ساسى ـ كما ذكرنا ـ عمل شرحا من الشروح التى وقعت له ، وأضاف إليه فوائد من كتب الأدب والنحو والتاريخ . وطبع هـذا الشرح فى باريس مع فهارس للألفاظ والأمثال والأعلام .

ولعل كثرة هذا العدد من الشارحين يرجع إلى مازخرت به المقامات من الكلمات العربية ، والأمثال والأحاجى والألغاز ، والنكات النحوية والبلاغية مما يجعل ميدان الشرح ذا سعة وأردية الاستطراد كثيرة .

٢ ـ وتختلف هذه الشروح إيجازا وإطنابا ، وأسلوبا ومنهجا ، ومن أوسعها مجالا ، وأجمعها لشتيت الفرائد ومنثور الفوائد ، ومتشعب الأغراض ، هذا الشرح الذى

وضعه العلامة أحمد بن عبد المؤمن القيسى المعروف بالشريشى . وقد وقعت له نسخة المقامات مما رواه عن أبى القاسم عيسى بن جهور وأبى الحجاج يوسف القضاعى وأبى الطاهر الخشوعى ، وهم ممن ذكرنا أنهم رحلوا إلى المشرق من علماء الأندلس ولقوا أبا محمد الحريرى فى بغداد ، وقرءوا عليه المقامات فى منزله ، وعادوا إلى بلادهم يحملون المقامات ؛ ضِمن الكنوز النادرة التى حملوها من المشرق إلى المغرب عن طريق الرحلة والرواية ...

وقد وقف الشريشى جهده حقبة على هذه المقامات ، يتدارسها مع العلماء ، ويستوعب الكتب والأسفار والدواوين والشروح والتعاليق ، ليتخذ العدة لشرحها ؛ ولهذه الغاية يقول : لم أدعْ كتاباً أُلِّفَ فى شرح ألفاظها ، وإيضاح أغراضها إلا وعيته نظرا ، وتحققته معتبرا ومختبرا ، وترددت فى تفهُّمه وِرداً وصدَرًا ، وعكفت على استيفائه بسيطا كان أو مختصرا ... ولم أترك فى كتاب منها فائدة إلا استخرجتها ، ولا فريدة إلا استدرجتها ، ولا نكتة إلا علّقتها ، ولا غريبة إلا استلحقتها ... فاجتمع من ذلك حفظا وخطًّا أعلاقٌ جمة ، وفوائد لم تهتم بها قبله همة ؛ ثم لم أقنع بتدوين الدواوين ، ولا اقتصرت على توقيف التصانيف ؛ حتى لقيت بها صدور الأمصار ، وعلماء الأعصار » .

وجعل من أهم مقاصده فى هذا الشرح أيضا التعريف بالأمصار المذكورة فى المقامات ـ ماوسعه الجهد ـ ثم شرح الأمثال. وترجم للمشهورين من الآباء والأبناء والشعراء والأدباء والأعيان ، مع العناية بصنوف البديع وبسط أنواع الأدب وفنونه والإكثار من الشعر فى كل مناسباته . . . وخاصة الشعر الأندلسى فإنه حشد فيه مجموعة من مختار هذا الشعر ، وانفرد بنصوص نادرة منه لاتجدها فى غير هذا الكتاب .

وبهذه المزايا مجتمعة كان هذا الشرح مرجع الباحث وغُنية المتأدب ،وغاية المطالع والمستفيد .

٣ ـ والشارح هو أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسى الشريشى ، ولد بشريش سنة ٥٧٧ ـ وكانت شريش من أجمل بلاد الأندلس ، وأحفلها بأشجار الكروم والتين والعنب والزيتون ـ عاش فيها صدر شبابه ، وتلقى بها على أبى الحسن بن لبّال وأبى بكر بن الأزهر وأبى عبد الله ابن زرقون وأبى الحسين بن جبير . ورحل إلى المشرق ثم عاد إلى شريش ، وتوفّىَ بها سنة ٦١٩ هـ .

وقدألف من الكتب غير هذا الشرح مختصرا لنوادر أبى على القالى وشرحا لكتاب الإيضاح لأبى على الفارسى وآخر لشرح الجمل للزجاجى ،وجمع مشاهير قصائد العرب ؛ كما وضع رسالة فى العروض . وكان أيضا شاعرا مطبوعاً شائق اللفظ رشيق المعنى .

ومن نموذج شعره تلك الأبيات التى أوردها المقرى فى ترجمته[1] ، وكان قد سافر إلى الشام وشُغِف بها ثم رحل عنها ، فقال يتشوّق إليها :

ياجيرة الشام هل من نحوكم خبرُ	فإن قلبى بنار الشوق يستعر
بعدت عنكم فلا والله بعدكمُ	مالذّ للعين لا نومٌ ولاسهرُ
إذا تذكرت أوقاتا نأت ومضت	بقربكمْ كادت الأحشاء تنفطر
كأننى لم أكن بالنَّير بَيْن[2] ضحى	والغيم يبكى ومنه يضحك الزهر
والورق تنشد ،والأغصان راقصة	والدّوح يطرب بالتصفيق والنهر
والسفحُ ، أين عشياتى التى سلفت	لى منه، فهى لعمرى عندى العُمُر!
سقاك ياسفح ، سفْح الدمع منهملا	وقلّ ذاك له إن أعوز المطر

ومما هو جدير بالذكر أن هذا الشرح واحد من ثلاثة شروح وضعها

(١) نفح الطيب ٢ : ٣١٧ (٢) النيربين ، من قرى دمشق .

المؤلف : أولها مختصر ، وثانيها متوسط ، وثالثهاهذا المطول ؛ وهو الذى اشتهر فى الخافقَيْن ذكره ، وأقبل عليه العلماء والمتأدبون دون غيره . . . ومن قصد البحر استقلّ السواقيا .

* * *

٤ ـ وحينما قمت بتحقيق هذا الكتاب تحيّرت النسخ الآتية للرجوع إليها :

(١) نسخة كاملة مخطوطة بدار الكتب برقم ١٧٥ ـ أدب ، مكتوبة بقلم معتاد ؛ إلا أنها تخلو من الضبط ، ، وتقع فى ٤٣٢ ورقة ، وفى كل صفحة ٣٥ سطرا ، وكل سطر يشتمل على ٢٢ كلمة تقريبا كتبت سنة ١١٣٠هـ ، وفى أولها وقفية على خزانة جامع شيخون سنة ١١٩٣ هـ وبعض التمليكات ، وقد رمزت لها بالحرف (ا) .

(٢) نسخة خطية محفوظة بدار الكتب برقم ١٧٨ ـ أدب ، تقع فى ١٢٧ ورقة ، وفى كل صفحة ١٩ سطرا ، كل سطر يشتمل على ١٢ كلمة تقريبا ؛ وهى نسخة جيدة صحيحة فيها بعض الضبط إلا أنها ناقصة تشتمل على شرح ١٧ مقامة فقط ، وبهامشها المقامات ، وقد رمزت لها بالحرف (ب) .

(٣) نسخة خطية محفوظة بدار الكتب برقم ١٨٠ ـ أدب ، وهى نسخة خزائنية كتبت بخط نسخ واضح ، ولكنه خال من الضبط ، وتقع فى ٤٥٢ ورقة ، وفى كل صفحة ١٠ كلمات تقريبا ، وتحتوى على شرح خمس وعشرين مقامة . وقد رمزت لها بالحرف (ج) .

(٤) نسخة طبعت فى بولاق سنة ١٣٠٠ هـ بتصحيح محمد الحسينى ، وقد رمزت لها بالحرف (ط) .

وجميع هذه النسخ كتب على هامشها المقامات .

هذا عدا مارجعت إليه من كتب الأدب واللغة والتاريخ ومجموعات الشعر ودواوين الشعراء .

ويطيب لى فى هذا المجال أن أنوه بفضل الصديق العلامة الحجة الدكتور محمود مكى الذى تفضل بقراءة هـذا الجزء بعد طبعه ، وكانت له ملاحظات قيمة أثبتها فيما بعد ، هذا بالإضافة إلى المعارف والمعلومات التى أفدتها منه ، وخاصة فى الأدب الأندلسى وتاريخه .

ويقع هذا الكتاب - إن شاء الله - فى ستة أجزاء ، وسألحق بآخره إن شاء الله الرسالتين السينية والشينية للحريرى ، وحواشى ابن الخشاب وابن برّى وغيرهما على المقامات ؛ فضلا عن الفهارس الفنية العامة .

ومن الله العون والتوفيق .

رمضان سنة ١٣٨٩ هـ

نوفمبر سنة ١٩٦٩ م

محمد أبو الفضل إبراهيم

obeikandl.com

شرح مقامات الحريري

لأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الأستاذ اللغويّ النحويّ أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن ابن عيسى بن موسى بن عبد المؤمن القيسى الشَّريشيّ ، تغمده الله برحمته ورضوانه ، وأسكنه فسيح جناته بمنّه وكرمه آمين :

الحمد لله الذى اختصّ هذه الأمة بأفصح الألسنة وأفسح الأذهان ، وشرّف علماءها بالافتنان فى أفانين البلاغة والبيان ، وميّزنا بين سائر الأمم بالنثر المتفق الفِقَر والنظم المعتدل الأوزان .

نحمده على أفئدة هداها ، وألسنة أطال فى شأو البلاغة مداها ، ونصلّى على سيد المرسلين ، وخيرةِ العالمين ، الذى ختمت بنبوّته العامة النبوة ، ونسخت بشرعته التّامة الكتب المتلوّة ، محمد سيد هذا العالم والمخصوص بعلوّ المكانة ، وعموم الدّيانة فى ولد آدم ، وعلى آله وصحبه الذين عزّروه ووقّروه ، وآووْه إيواء الموفين بالعهود ونصروه ، ونقلوا شرعَه الكريم نقلَ التواتر وآثروه ، وسلّم تسليما ، وآتاهم من لدنه رحمة وأجراً عظيما .

ورضىَ الله عن الإمام المعصوم ، المهديِّ المعلوم ، مجدّد معالم الديانة ، والملىء بأداء الأمانة ، والمشهور على تعاقب العصور بالزمان والمكان والمكانة ، وعن خلفائه الراشدين المرشدين أئمّة الهدى ، والتالين له فى شرف ذلك المدى ، والقائمين بأعباء أمره الموعود أنه يبقى أبدا .

ونسأل الله تعالى لسيدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين ابن الخلفاء الأئمة الراشدين ، سعداً يُعلى أعلامه ، ونصراً يصحب قلمه وحسامه ، وتأييداً يُظهر أمره وينصر اعتزامه ، حتى ينتظم شذّان[1] الأمصار فى سلك ملكه ، وتزدحم وفودُ الأمم

(١) الشذان ، بالضم والفتح : المتفرق ، وأصله فى الحصى والإبل .

على غَمْر بِرّه ، وتنطوى ضمائر القلوب ومخبّآتُ الغيوب على إخلاص طاعته والانثناء لأمره .

أما بعد ؛ فإن العلم أربحُ المكاسب ، وأرجحُ المناصب ، وأرفع المراتب ، وأنصع المناقب ، وحرفة أهل الهِمم من الأمم ، ونِحْلة أهل الشرف من السلف ، لم يتقلّد سالكَه إلا جِيدُ ماجد ، ولم يتوشّح بُرْدَه إلا عِطْف جادّ فى طلب الكمال جاهد ، ولم يستحقّ اسمه إلا الواحد النَّذْ بعد الواحد ، وهو وإن تشعّبت أفانينُه ، وتنوّعت دواوينُه ؛ فعلم الأدب علَمُه ، والأسّ الذى يبنى عليه كَلِمُه ، والرّوح الذى يخبّ فى ميدان الطّروس قلمُه ؛ ولذلك كان أوْلى ماتقترحه القرائح ، وأعلى ما تجنح إليه الجوانح ؛ فذوو الأخطار فى سائر الأقطار يتنافسون فى اقتنائه ، ويتصافنون فى عافِى إنائه[1] ، ويرتاحون لأوضاعه وتآليفه ، ويستريحون إلى أعبائه المكدودة وتكاليفه ، فإنه زمام المنظوم والمنثور ، وقِوام[2] نطقِ الألسنة وفكَر الصدور ، ومنشِّط المقال من عِقال الفهاهة ، ومميّز الأقدار بالمهابة والنباهة .

ولم يزل فى كلّ عصر من حَمَلته بدر طالع ، وزهر غصن يانع ، وعلَمٌ ترنو إليه أبصار وتومِىء إليه أصابع ، وصناعة البراعة بينهم تتمكّن وتتأصّل ، وتنويع البديع ينضبط ويتحصّل ، والآخِر يكدّ ذهنه فى تتميم ما غادره الأول ؛ إلى أن اعتدلت كفّتاه ، وامتلأت ضِفّتاه ، وراق مجتلاه ومجتناه ، وتناهَى فى الحسن والإحسان لفظه ومعناه .

وكان آخرَ البلغاء وخاتمة الأدباء ، أولهم بالاستحقاق ، وأولاهم بسِمَة السباق ، والفذّ الذى قد عقمت عن توءمه فتية العراق ، وفارس ميدان البراعة ،

(١) يقال : تصافن القوم الماء ؛ إذا قسموه بالحصص . والعافى : ما فضل فى القدح والكلام على الاستعارة .

(٢) قوام الأمر بالكسر : نظامه وعماده .

ومالك زمام القرطاس واليراعة ، والملبِّي عند استدعاء دُرَر النِقَر بالسمع والطاعة، أبو محمد القاسم بن عليٍّ الحريريّ ـ سقى الله ثراه صَوْب رحماه ، وكافأ إحسانه في الثناء عليه بحسناه ـ فبسط لسان الإحسان ، ومدّ أفنان الافتنان ، ومهّد جادّة الإجادة ، وقوّى مادّة الإفادة ، ولم يُبق في البلاغة متعقّبا ، ولا للرّيادة مترقّبا ، لاسيّما في المقامات التي ابتدعها ، والحكايات التي نوّعها وفرّعها ، والمُلَح التي وشّحها بدُرَر الفِقَر ورصّعها ؛ فإنه برّز فيها سابقًا ، وبزّ البلغاء فائقا ، وأتى بأعنى الدّقيق للّفظ الرّقيق مطابقًا ، وخلّدها تاجًا على هامة الأدب وتِقصارًا[1] في جِيد لغة العرب ، وروضة تحوم أنفاس الهمم عليها ، ولا تصل أيدى المطامع إليها .

ولمّا كانت من البراعة بهذا المحلّ الشهير ، وسارتْ مسير النَّيّرين بين مشاهير الجماهير ؛ جعلتُ الاعتناء بها سهم فهمى ، والعكوفَ عليها حرزَ عزمى ، والدّءوب في حفظ لغاتها وفكّ مخبّآتها أهمّ همّى ، وصيّرت تحفُّظَها فرضَ عينى ، والفكر الذى لا يحول وَسَنِي بينَه وبيني . فبدأت بروايتها عن الشّيوخ والثّقات، وتقييد ألفاظها عن أعلام هذه الجهات ؛ حتى لا أنقل لفظا إلّا عن تحقيق ، ولا أثبت ضبطا إلا من طريق .

فكان أوّل من أخذت عنه روايتها ، وتلقّيت منه درايتها ، ببلدى ، الشيخ الفقيه المقرئ أبو بكر بن أزهر الحجَرِيّ ، حدّثنى بها عن صهره الفقيه المحدّث الراوية أبى القاسم بن عبد ربه القيسى المعروف بابن جهور ، عن منشئها أبى محمد الحريريّ . وحدّثنى بها أيضا ببلدى الشيخ الفقيه الراوية أبو بكر بن مالك الفِهريّ عن ابن جهور المذكور ، وعن الشيخ الفقيه أبى الحجّاج الأُبّذِى القضاعىّ ، كلاهما عن أبى محمد الحريريّ . وحدّثنى بها أيضا إجازةً الشيخ الفقيه المحدّث أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الحجَرىّ

(١) التقصار والتقصارة ، بالكسر : القلادة ؛ سميت بذلك لازومها قصرة العنق .

عن القُضاعىّ. وحدثنى بها أيضا الكاتب الزاهد أبو الحسين بن جبير عن الشيخ الجليل بركات بن إبراهيم بن طاهر بن بركات القرشى المعروف بالخشوعىّ عن الحريرىّ. وحدّثنى بها أيضا الشيخ الفقيه الأستاذ أبو ذرّ مُصعب بن محمد بن مسعود الخُشنىّ بسنده، بعد وقوفه رحمه الله على هذا الشرح وأمْرِه لى بتكميله.

وتلقيت بها جماعة من جلّة الأشياخ أكثرَ فى العدد ممن ذكرت؛ لا يعدمنى واحد منهم إفادة ضبطيّة أو لفظيّة، ولا يفقدنى زيادة هزلية أو وعظية، فأخذتُها أخذ متثبّت، عن واع منكّت.

ثم لم أدع كتاباً ألِّفَ فى شرح ألفاظها وإيضاح أغراضها، وتبيين الإنصاف بين انفصالها واعتراضها إلا وعيتُه[1] نظراً، وتحقّقتُه معتبِراً ومختبراً، وتردّدت فى تفهّمه وِرْداً وصدَراً، وعكفت على استيفائه بسيطاً كان أو مختصراً؛ حتى أتيت على جميع ما انتهى إليه وسعى ممّن فسرها، واستوعبت عامة فوائده الممكنة بأسرها؛ ولم أترك فى كتاب منها فائدة إلا استخرجتُها، ولا فريدة إلا استدرجتها، ولا نكتة إلا علّقتها، ولا غريبة إلا استاحقتها، ولا غادرت فى موضع منها مستحسناً يشذّ عن جمعى، ولا مستجادا ينبُو عنه بصرى أو سمعى.

فاجتمع من ذلك حفظاً وخطّاً أعلاقُ جمّة، وفوائد لم تهتمّ بها قبلى همّة، ثم لم أقنع بتبيين الدواوين، ولا اقتصرتُ على توقيف التصانيف؛ حتى لقيت بها صدور الأمصار، وعلماء هذه الأعصار، فباحثتُ وناقشت، وتأوّلت وتداولت، وطالبت المتحفّظ بالأداء، والمتيقّظ بالإبداء؛ حتى لم أُبق فى قادحةٍ زَنداً إلا اقتدحته، ولا مُقفَلا إلا افتتحته، فتحصّل لى من ذلك أيضاً عيون صائبة النواظر، وفنون قَلَّما توجد فى مخبّآت الدفاتر.

وأنا فى خلال ذلك ألتمس مزيداً، ولا أسأم بحثاً وتقييداً، إلى أن عثرتُ على

(١) ط ب: «أوعيته»، وأوعى الشىء: حفظه؛ مثل وعى.

شرح الفَنْجَديهىّ[1] للمقامات ـ والفنجديهىّ هو الشيخ الحافظ أبو سعد محمد ابن عبدالرحمن بن محمد المسعودىّ ، من قرية فنجديهة من عمل خراسان ـ فرأيت فى شرحه الغاية المطلوبة ، والبغية المرغوبة ، والضالّة التى كانت عنّى إلى هذا الأوان مطوية محجوبة ؛ فاستأنفت النّظر ثانياً ، وشمّرت عن ساعد الجدّ لا متكاسلا ولا وانياً ، وعاينت نور المعنى فى نور اللفظ فأصبحت مجتانياً جانياً ، فاستوعبته أيضا أبلغ استيعاب ، وقيّدت من فوائده ما لم أجد قبله فى كتاب ، وأخذت منه أحاديث مسنَدةً أوردها ، وآثاراً مرفوعة قيّدها تليق بالباب الذى أوردت فيه ، وتورّد مصحِّحةً إما لألفاظه وإما لمعانيه ، وحذفت أسانيد ـ وإن كان قد أوردها ـ تخفيفاً عمّن يريد المتن ويبتغيه ؛ فتمّ لى بهذا الغرض استيفاء مقاصده ، واستيعاب فوائده . وتركتُه مستلَب المعانى ، مطروق المغانى ، كالروض ركدتْ ريحه ، والجسم قبض رُوحه ؛ فانضاف من فوائد هذا التأليف البديع ـ إلى الفوائد الملتقَطة من الألسنة والمأخوذة من التصانيف المستحسنة ـ روضٌ كله زهر ، وسلْك كلّه دُرَر ، وأدب إن لم يجمعه التصنيف فهو بعد عين أثَر .

فاستخرت الله تعالى فى ضمّ ما انتشر من فوائدها ، ونظم ما انتثر من فرائدها ، والاعتناء بتأليفٍ فى المقامات يُغنى عن كلّ شرح تقدّم فيها ، ولا يحوج

---

(١) الفنجديهى ؛ منسوب إلى فنجديهة ، قال ياقوت : « فنجديهة ، بالفتح ثم السكون ثم فتح الجيم وكسر الدال وياء ثم هاء خالصة ، وينسب إليها فنجديهة . بلدة فيها خمس قرى ؛ قد اتصلت عمارة بعضها ببعض ، قرب مرو الروذ » . وهو أبو سعد محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مسعود المسعودى ، المتوفى سنة ٥٨٤ ، ذكره صاحب كشف الظنون ، ووصفه العماد فى شذرات الذهب بالرحال الأريب وقال : مات عن اثنتين وثمانين سنة بدمشق ، وسمع من أبى الوقت وطبقته ، وأملى بمصر مجالس ، وعنى بهذا الشأن ، وكتب وسمع ، وجمع فأوعى ، وصنف شرحا طويلا للمقامات ، قال يوسف بن الخليل الحافظ : لم يكن فى نقله بثقة ، وقال ابن النجار : كان من الفضلاء فى كل فن ، فى الفقه والحديث والأدب ، وكان من أظرف المشايخ وأجلهم » .

إلى سواه فى لفظ من ألفاظها ولا معنًى من معانيها ، فتمّ من ذلك مجموعٌ جامع ، وموضوع بارع[1] ، أودعتُه من اللغات أصحَّها وأوضحَها ، وأسلسها قياد لفظ وأسمَحها ؛ وأولاها بالصواب فى مظانّ الاختلاف وأرجحَها ؛ ونسبت المشكِلَ منها إلى قائله من جهابذة العلماء ، وجمعت بين مشهور اللغات ومشهور الأسماء، وسبكت العبارة عن المعانى سبكًا يدلّ على الإلغاء والإصغاء . وهذا الفصل وإن سبقنى إليه مَنْ تقدّمنى من الشارحين قبلى ، فلى فيه مزيّة إيراد اللفظ البعيد عن الإشكال ، والمطابقة بين الأقوال وأرباب الأقوال .

ثم زدت فى فوائد هذا التأليف التعريفَ بالأمصار المذكورة فى المقامات على أوفَى ما يمكننى ؛ من ذكر مواضعها وأقدارها واختطاطها ، ومَنْ عَقَد صلاحَها ، أو تولّى فتحها ؛ وهذه فوائد لا يخفى مكانها ، ولا ينكَر استحسانُها ، فالحاجة إلى التعريف بالمكان ، تتلو الحاجة إلى غوامض اللسان .

ثم استوعبتُ شرح الأمثال ونسبتها ، جمعاً بين القائلين والأقوال ، ولم أغفل منها الكثير الدّوْر ولا القليل الاستعمال ، وهذا الفن لم يتبعه أحد على الكمال ، وإن ذكره فإنما يذكره استطراداً بحسب الحال .

ثم استوفيتُ أيضا ذكر مَن وقع فيه من الرجال والنساء أتمّ استيفاء ، وعرّفت المشتهرين من الآباء والأبناء ، وبيّنت أنسابهم وأمكنتهم ، وأخبارهم وحِرَفهم ، وآثارهم ومدّتهم ، زيادة فى النّهُم[2] والاعتناء . وهذا الفن أيضاً لم يورده الشارحون حقّ إيراده ؛ ولا اعتمدوه بالتبليغ حقّ اعتماده ، وهو مهمٌّ فى الإفادة ، وعلى مغفله فى الوقت وبعدَه الإعادة .

ثم زدت فيه فصلين مفيدين لم أَرَ مَنْ اعتنى بهما ، ولا من قَصَد قصدهما ، سوى أبى سعيد النَّمْجَديهىّ فى بعض المواضع ، فإنه ألمح وألمع ، وأورد اليسير فما شفى ولا أقنع :

(١) ا : «فصار ذلك مجموعا جامعا ، وموضوعا بارعا» .
(٢) ط : «التهيم» ، تحريف ، صوابه من ا .

أحدهما: تبيين مأخذ الحريرىّ فى الكلام ، وإخراج الإحالات المودَعة فيه من حيّز الإبهام ،والردّ إلى المنشأ فى آية أو أثرٍ ، أو خطبة أو خبر ، أو حكمة فائقة ، أو لفظة رائقة ، أو بيتٍ نادر ، أو مثلٍ سائر ؛ وهـذا تتميم بيِّن ، وتكميل متعيّن .

والفصل الثانى : التنبيه على صناعة البديع، وتوفية أسمائه ؛ كالتجنيس والتتميم والترصيع ، والإتيان بهذا النوع من التبيين والتنبيه على الجميع ، وبسط أنواع الأدب وافتنانه ، والإكثار من الشعر فى مظانّه من الجدّ والهزل فى المواضع اللائقة باستحسانه ، ومقابلة كل باب بما يزيد فى حسنه وبيانه ، والجرْى مع أبى محمد حسب اتساع خطوه وامتداد ميدانه .

ومن تمام التّصنيف ردّ الفرع إلى أصله ، والجمع فى الترتيب بين الشكل وشكله ، فأتبعتُ المواعظ بما يزيدها أثراً فى القلوب ، وأردفت المسلّيات بما يُعينُها فى إجلاء الكروب ، وسلكتُ هذه المسالك فى سائر الأساليب وأنواع الضروب ؛ فإن وُجِد فى هذا الكتاب لفظ ظاهره الهزل ، أو معنى ينسَب فيه إلى العذْل؛ من وصف نوْر وثمر ، وذكر نديم وخمر ، أو نعت حُسْنٍ وحسن، أو مدح سماع وأذن ، فلأنّ أبا محمد بدأ بأمر فتمّم ، وخصّ نوعاً فعمّم ، مع أنّ صنعة الأدب مبنية على المُلَح ، وخواطر الأدباء جائشة بما سَنَح . فجاء من هذا الترتيب الغريب ، ما يضرب فى الإجادة بسهم مصيب ، ويثبت لى فى الجدّ والدءوب أوْفرَ نصيب .

ثم رأيت الشارحين لها من أولى البصَر كالفنجديهىّ وابن ظَفر[1]

---

(١) هو محمد بن أبى محمد بن محمد بن ظفر ؛ صاحب التصانيف المتنوعة السائرة ، ذكره القفطى فى الإنباه ٣ : ٧٥ ، وقال : « ورأيت له شرح المقامات ، قد صنفها لأهل المغرب ، وقد نقل ألفاظها من نسخة سقيمة فصحف وخرج التصحيف ؛ وسمعت أنه كان يعتذر من ذلك إذا قيل له ، ويقول : هذا أمر أحدثته العجلة وبعد الدار . وذكر صاحب كشف الظنون هذا الشرح وسماه : « التنقيب على ما فى المقامات من الغريب » .

قد جرّدوا من شروحهم مختصرات وجيزة ، اقتصروا فيها على إيراد اللغات ، فحذوتُ حذوَهم فى مختصرٍ أوردتُها فيه على الكمال ، ووفّيتها حقها من رفع الغلط وكشف الإشكال ، ولم أخلّ فى تصريفها واشتقاقها بوجه من الوجوه ولا حال من الأحوال ، فجاء غاية فى هذا الباب ، مغنيا فى اللغات الغريبة عن كل كتاب ؛ فإن فاته هذا الأصل بضروب من الإفادات وأنواع من الزيادات ، فلذلك الفرع شُفوف الاستيعاب فى اللغات ، ومزية الاشتقاق والتصريف والشاهد من الشعر والآيات .

وكلّ ذلك بلطف الله تعالى ، وبسعد مَنْ شرّفت كتابى بخدمته ، وبنيتُ تأليفى على أداء شكر نعمته ، ونصبت نفسى لأقف ببابه الأعلى ، وأتزيّن بلثم تربته فأنا العبد وهو المولى ؛ عماد الأنام ، والظلّ الممدود على المسلمين والإسلام ، ونعمة الله التى هى من أفضل النعم الجسام ؛ منفّق سوق المعارف ، ومفجّر بحور المِنَن والعوارف ، المجير بفضله وعدله من المفاقر الفادحة والمخاوف ، سيّدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبو عبد الله ابن إمام الأئمة الراشدين وولّى عهده سيدنا الأمير الأجلّ أبو يعقوب ، أيد الله سلطانهم ، وأيّد بيضتَهم وحزبهم ، وجمع القلوب على الانقياد لهم ، والوجوهَ على التوجّه قِبلهم .

وهذا الكتاب وإن كان المعبِّر عن حسنه ، والغاية الملتمسة فى فنّه ، والجامع لما افترق فى سواه ، والمبرّز بما وشّحه من الزيادات وحلّاه ، فإنه لم يتم جماله ، ولا استوفى احتواءه على الفوائد واشتماله ، إلا ببركة مولانا الخليفة ، واقتران اسمه الكريم باسم ولىّ عهده المستحق للتقديم فى هذه الصحيفة . فالحمد لله على التوفيق لخدمتهم ، والمعونة على شكر نعمتهم ، والتعرّض لخيرى الدنيا والآخرة فى ظلّ حرمتهم .

وقد بذلتُ فى الخدمة جَهْدى ، وأبرزت من فوائد هذا التأليف أنفس ماعندى ، ولم أتعاط قياماً بكل الواجب ، ولا وفاء بجميع الحقّ الراتب ؛ فالقول يقصر عن التحصيل ، وليس إلى مطاولة الطود ومكاثرة اليمّ من سبيل .

وقد كنت حين أتممتُ هذا التأليف ، وألقيت عن كاهلى الأعباء التى له والتكليف ،وجلوْته كالحسناء ألقت فى المنصّة النّصِيف ، كثرت خطابه إلىَّ من البلدان ، وتواردت عليه رغبات الاستجادة والاستحسان ، فقلت : حتّى يتشرّف بلثم اليمين العليا ، ويتخصص بقبول إمام الدين والدنيا ، فمن بابه الأسمى يُلتقط درّه المنظوم ، وببركاته يسطع مسكه العَبِق[1] المختوم .

وها أنا أشرع ببركة الله وبركة خليفته المبارك الأهدى ، وبنجله المتقلّد منه صفة وعهداً ، فى شرح الخطبة كلمة كلمة ، وإيضاحها حتى لا أدع لفظة مبهمة ، ثم أشرح المقاماتِ على الوِلاء ، وأسلك الجمعَ بين الإيجاز والاستيفاء ، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وسلم أفضل التسليم .

(١) ط : « العبيق » تصحيف ، صوابه من ا .

بسم الله الرحمن الرحيم

الصدر

اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْمَدُكَ عَلَى مَا عَلَّمْتَ مِنَ الْبَيَانِ ، وَأَلْهَمْتَ مِنَ التِّبْيَانِ ، كَمَا نَحْمَدُكَ عَلَى مَا أَسْبَغْتَ مِنَ الْعَطَاءِ ، وَأَسْبَلْتَ مِنَ الْغِطَاءِ .

* * *

اللهمّ إنا نحمدك ؛ اللهم اسم خصّصته الميم المشددة فى آخره بنداء البارئ سبحانه ، والتزم معها حذف حرف النداء لوقوع الميم خلفاً عنه ، ولحلّ اللام فى أوله ، لأنه لا يلى حرفَ النداء لامُ التعريف إلا فى قولهم : « يا أللهُ » ؛ لتكون اللام الزائدة نائبة عن حرف أصلىّ ، وهى همزة « إله » ، فصارت كالأصلىّ ، وفى غير هذا الاسم تتجرد اللام للزيادة فى أول الاسم . و « يا » زائدة فى أوله كذلك ، وهما جميعا لتخصيص الاسم وإزالة شياع التنكير عنه ، فلمّا تقاربا فى المعنى ، وتشابها فى الزيادة ، وطلب كل واحد منهما أن يَلِىَ الاسمَ دون صاحبه ، تُرِك استعمال الجمع بينهما فى أول الاسم إلا فى ضرورة الشاعر لإقامة الوزن. وأما اللام فى قولهم : « يا أللهُ » فلما كانت نائبة عن حرف أصلىّ خفيت زيادتها ، فلما زادوا الميم فى آخره فضحت اللام وشهرت معنى الزيادة ، فامتنعت « يا » من أوله إلا عند الضرورة كامتناعها فى الرجل والغلام ؛ فلما كانت الميم هى الموجبة لمنع « يا » حُمِّلَ الاسم معها معنى « يا » فصار مختصًّا بالنداء ممتنعا من غيره .

ونحمدك ، معناه نثنى عليك بأتمّ وجوه الثناء كلها ، فيدخل تحته الشكر ،

والشكر ثناء يقابَل به معروف ، وفى الحديث : « الحمد رأس الشكر فمن لم يحمد الله لم يشكره»[١] ، والحمد ذكر الرجل بمافيه من صفات جليلة . والشكر ذكره بماله من أفعال جزيلة ، من قولهم : دابّة شكور ، إذا ظهر بها من السِّمَن فوق ماتأكل من العلف . ويقال : أشْكَر من بَرْوَقة[٢] ، وهى شجرة معروفة تخصب بأدنى مطر ؛ ويؤكد الفرق بينهما أن الحمد فى مقابلة الذمّ والشكر فى مقابلة الكفر ، فاختلاف نقيضيهما دليل على اختلافهما فى أنفسهما .

البيان: وضوح المعنى وظهوره ، والتّبيان : تفهّم المعنى وتبيّنه . والبيان مِنْك لغيرك ، والتّبيان منك لنفسك ، مثل التبيين تقول: بيّنت الشىء لغيرى بياناً وتبيّنته أنا تبيانا ؛ وقد يقع التِّبيان بمعنى البيان ؛ حكى أبو منصور الأزهرىّ رحمه الله: بيّنت الشىء تبييناً وتِبياناً ، قال تعالى ﴿تِبْيَاناً لكلِّ شىء﴾[٣] أى يبيِّن لك فيه كل ماتحتاج إليه أنت وأمّتك من أمر الدين ، فهو لفظ عامّ أريد به الخاصّ . وقد يقع البيان لكثرة الكلام ، ويُعَدُّ ذلك من النفاق ؛ قال النبى صلى الله عليه وسلم: « الحياء والعىّ شعبتان من الإيمان ، والبَذاء والبيان شعبتان من النفاق» أخرجه الترمذى[٤] . وقال: «العِىّ قلة الكلام والبَذاء الفحش ، والبيان كثرة الكلام» .

ألهمتَ: نبّهت عليه وفهّمته . وأسبغتَ : أتممت وكثرت . وأسبلت : أطلت . والغِطاء ، أراد به ستر الله على عبده .

* * *

وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شِرَّةِ اللِّسَانِ ، وَفُضُولِ الْهَذَرِ ، كَمَا نَعُوذ بِكَ مِنْ مَعَرَّةِ اللَّكَنِ ، وَفُضُوحِ الْحَصَرِ . وَنَسْتَكْفِي بِكَ الافْتِنَانَ بِإِطْرَاء

(١) الجامع الصغير ١ : ٢٦٠

(٢) الميدانى ١ : ٣٨٨ ، قال فى شرحه : « هى شجرة تخضر من غير مطر ، بل تنبت بالسحاب إذا نشأ ـ فيما يقال» .

(٣) سورة النحل ٨٩ .

(٤) نقله فى الجامع الصغير ١ : ٢٦١ عن الترمذى وأحمد والحاكم .

الْمَادِحِ ، وَإِغْضَاءَ الْمُسَامِحِ ؛ كَمَا نَسْتَكْفِي بِكَ الانْتِصَابَ لإِزْرَاءِ الْقَادِحِ ، وَهَتْكِ الْفَاضِحِ .

* * *

نعوذ، أى نستجير . شِرّة: حدة، واللسن: حدة اللسان وإدلاله على الكلام. فضول: زوائد. الهذر : إكثار الكلام بغير فائدة . معرّة: شدة وصعوبة، والمعرّة: العيب والعار . وقيل : هى كل مايؤذيك ، وفلان يَعُرّ قومَه ، أى يُدخل عليهم مكروها يلطّخهم به ؛ وأصله من العَرّة وهى الفَعْلة القبيحة ، أو من العُرّ وهو الجَرب . واللَّكَن: احتباس اللسان عند الكلام. فضوح: شهرة وفضيحة. الحَصَر: العِىّ ، وحَصِر حَصَراً إذا أعيا واستحيا أوضاق صدره. واستعاذ من شرّة اللسن لأنه من اقتدر على الكلام أدّاه إلى المطاولة فى الجدل وتصوير الباطل فى صورة الحق ، وفيه إثم على فاعله، وأصل الشِّرّة القلق والانتشار ، ومنه الشرّ ؛ وقد شرّ يشُرّ ، ومنه شرَر النار . ثم استعاذ من ضدّها وهى المعرّة ، لأن صاحبها لا يتم لفظه فيشين بذلك نفسه ، ويقصر عن مراده من البيان . ثم قرن بها الحصر لأن مَنْ يعتريه يتوالى عليه الوَهَلُ والخجل ؛ فلا يستطيع الكلام، فيفتضح ويشتهر عيبه.

وهذا الفنّ من الكلام يسمَّى فى صنعة البديع المقابلة، وأول من صدَّر به كتابا عمرو بن بحر الجاحظ فى كتاب البيان[1]، فقال: اللهم إنا نعوذبك من فتنة القول، كما نعوذ بك من فتنة العمل ، ونعوذ بك من التكلّف لما لا نحسن، كما نعوذ بك من العُجب بما نحسن، ونعوذ بك من السَّلاطة والهَذر[2]، كما نعوذبك من العِىّ والحَصَر ؛ وقديما تعوّذوا بالله من شرهما، ورغبوا إليه فى السلامة منهما ؛ وقد قال النَّمِر بن تولب :

(١) البيان والتبيين ١ : ٣ ، مع اختصار وحذف .
(٢) السلاطة : حدة اللسان والصخب : والهذر : كثرة الكلام فى خطأ .

أعذْنى ربِّ من حَصَرٍ وعِىٍّ ومن نفسٍ أعالجها علاجا

وقال محمد بن علقمة[١]:

لقد وَارَى المقابرُ من شريكٍ كثيرَ تحـــلُّمٍ وقليلَ عابِ
صَمُـــوتاً فى المحافل غير عَىٍّ جديراً حين ينطق بالصوابِ

ثم استرسل فى ذكر العىّ والبيان إلى غاية بعيدة ، واستشهد على النوعين بآيتين؛ بقوله تعالى: ﴿سلقوكم بألسنةٍ حِدَادٍ﴾[٢]، وفى الضدّ بقوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فى الحِلْيَةِ وهو فى الخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[٣]؛ فاحتذى الحريرىّ هذا الحذو، فجاءت تشبيهاته أطبع وأصنع، وزاد عليه بأن ابتدأ بحمد الله على نعمة البيان ، ثم استعاذ مما استعاذ منه الجاحظ ، وبيان المقابلة فى كلامه أنه قابل شرّة بمعرّة واللسن باللكن، والهذَر بالحصَر ؛ فإذا تفهّمتَ مواقعها فى كلامه قسْتَ عليها مايشبهها فى النظم والنثر .

وسئل قدامة الكاتب عن المقابلة ، فقال : هى أن يضع الشاعر ألفاظا يعتمد التوافق بين بعضها وبعض فى المخالفة ، فيأتى فى الموافق بمايوافق ، وفى المخالف بمايخالف ، وأنشد فى ذلك :

فياعجباً كيف اتفقنا فناصحٌ وفىٌّ ومطويٌّ على الغِشِّ غادرُ[٤] !

فجعل بإزاء « ناصح » ، « وفىّ» ، « غاشّا : غادرا » . ومثله :

فتًى تمّ فيـــه مايسُرّ صديقَه على أنَّ فيه مايَسوء الأعاديا[٥]

نستكنى : معناه نسألك ونطلب منك أن تـكفينا الافتتان ؛ وذلك أن تصاب بفتنة الإعجاب ، وأصل الفتنة اختبار الفضّة بالنار، قال تعالى فى الاختبار : ﴿وفَتَنَّاكَ فُتُوناً﴾[٦]، أى اختبرناك. والفتين: الفضة المحرقة، والفتين أيضا : الحجارة المحرقة ، وهى الحجارة تُدلَك بها الأقدام فى الحمّام. والإطراء: الاسترسال فى مدح

(١) فى البيان والتبيين : « محرز بن علقمة ».
(٢) الأحزاب ١٩ .
(٣) الزخرف ١٨ .
(٤) تحرير التحبير ١٨١ — قال : أحسبه لـكثير . وانظر العمدة ٢ : ١٤
(٥) للنابغة الجعدى ، ديوانه ١٧٤ .
(٦) سورة طه ٤٠ .

الإنسان بمحضره ، وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «لاتطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبد الله ورسوله » .

إغضاء: تجاوز ومسامحة ، وأصله أن يبدو لك الشىء فتدنى جفنيك وتقصر نظرك كأنك لم تره . والإغضاء: الإغماض وأغضيت عنه وأغمضت ، إذا تغافلت عنه . المسامح : الموافق لغرضك ، المتجاوز عن عيبك . الانتصاب : الظهور والاعتراض أمام الشىء . إزراء : تقصير وتنقيص . القادح: العائب ، وقدحت الدود فى الأسنان والشجر : أكلتها ، فكأنّ فعل هذا العائب فى أعراض الناس فعل الدود فى الشجر . والقادح أيضا: الذى يضرب الزند بالحجر ليورى . هتك: شقّ ، وهتكت الستر: خرقته . الفاضح: الذى يشهر عيوبك ، وفضحت الشىء: كشفته .

* * *

وَنَسْتَغْفِرُكَ مِنْ سَوْقِ الشَّهَوَاتِ إِلَى سُوقِ الشُّبُهَاتِ ؛ كَمَا نَسْتَغْفِرُكَ مِنْ نَقْلِ الْخُطَوَاتِ إِلَى خِطَطِ الْخَطِيئَاتِ . وَنَسْتَوْهِبُ مِنْكَ تَوْفِيقًا قَائِدًا إِلَى الرُّشْدِ ، وَقَلْبًا مُتَقَلِّبًا مَعَ الْحَقِّ ، وَلِسَانًا مُتَحَلِّيًا بِالصِّدْقِ ، وَنُطْقًا مُؤَيَّدًا بِالْحُجَّةِ ، وَإِصَابَةً ذَائِدَةً عَنِ الزَّيْغِ ، وَعَزِيمَةً قَاهِرَةً هَوَى النَّفْسِ ، وَبَصِيرَةً نُدْرِكُ بِهَا عِرْفَانَ الْقَدْرِ .

* * *

نستغفرك : نسألك المغفرة ، وهى من غفرتُ الشىء سترته . الشبهات: جمع شبهة وهى مايشتبه عليك أمره . والخطوات : جمع خطوة؛ وهى مابين القدمين . الخطط: جمع خطة وهى الطريق يخطّه الرجل فى الأرض يجعله حدًّا للشىء يحوزه ويعتمده . والخطّة، بالضم: المنزلة والمزية . والخطيئات : الذنوب ، وهى من الخطأ ، وجعل ماساقه

فى المقامات كأنه شهوة اشتهى عملها ، ثم اشتبه عليه : هل فى ذلك رضا الله أم سخطه ! فكأنه ساق شهوة إلى سُوقٍ يجهل التَّبايع فيها فلعلَّه فيها خاسر الصفقة ، فلهذا استغفر الله منها. الرُّشد : الهداية رشده الله رشدا وأرشده : هَدَاه . ورَشَدهو رُشْدًا ورشادا : اهتدى . متحلِّيًا : متَّصفا ومتزيّنا . مؤيّدا : مُعانًا . وأصاب فى كلامه إصابة : إذا نطق بالصواب ، ورمى فأصاب لم يخطىء ؛ وقوله تعالى : ﴿ رُخاءً حيثُ أصَابَ[1] ، أى حيث أراد ، قال الفرّاء : اختلفتُ أنا وعيسى النحوىّ فى الآية فقلت : ماأحدٌ أعلَمُ بهذامن رؤبة ، قال: فسرنا إليه فلقيناه يتوكأ على اثنين ، فقال : أين تصيبان؟ أى أين تريدان؟ ، فقلت لصاحبي : كُفِيتَ السُّؤال[2] . ذائدة : دافعة . الزيغ : الميل ، وزاغ عن الحق : مال عنه إلى الباطل. العزيمة : الجدّ ، وعزم على الشىء : جدَّ فيه . قاهرة : غالبة . وهوى النفس : ماتحبّه وتميل إليه . بصيرةً : يقينا ، والبصيرة للقلب ، والبصر للعين . عِرْفان القدر ، أى معرفة أقدارنا .

* * *

وَأَنْ تُسْعِدَنَا بِالْهِدَايَةِ إِلَى الدِّرَايَةِ ، وَتَعْضُدَنَا بِالإِعَانَةِ ٢
عَلَى الإِبَانَةِ ، وَتَعْصِمَنَا مِنَ الْغَوَايَةِ فِى الرِّوَايَةِ ، وَتَصْرِفَنَا عَنِ السَّفَاهَةِ فِى الْفُكَاهَةِ ؛ حَتَّى نَأْمَنَ حَصَائِدَ الأَلْسِنَةِ ، وَنُكْفَى غَوَائِلَ الزَّخْرَفَةِ ؛ فَلا نَرِدَ مَوْرِدَ مَأْثَمَةٍ ، وَلاَ نَقِفَ مَوْقِفَ مَنْدَمَةٍ ، ولاَ نُرْهَقَ بِتَبِعَةٍ وَلاَ مَعْتَبَةٍ ، وَلاَ نُلْجَأَ إِلَى مَعْذِرَةٍ عَنْ بَادِرَةٍ .

* * *

(١) سورة ص ٣٦ .

(٢) الخبر فى الكشاف ٤ : ٧٤ ، وروايته : « عن رؤية ، أن رجلين من أهل اللغة قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة ، فخرج إليهما ، فقال : أين تصيبان ؟ فقالا : هذه طلبتنا ؛ ورجعا » .

الدّراية: مصدر دَرَيْتُ الشيء دِراية ودَرْياً، علمته . تعضُدنا تقوّينا، وعضّده: أعانه وكان له عَضُدا . الإبانة : مصدر أبنت الشيء ، أى بيّنته . تعصمنا من الغَواية ، أى تمنعنا من الضلالة والفساد ، والغَواية : مصدر غَوَى غيًّا وغَواية وغَوِىَ أيضا غَواية ، وهما ضدّ رَشَد رُشْداً . الرواية : نقل الحديث من صاحبه إلى طالبه . تصرفنا: تزيلنا . السفاهة: الجهل ، والفكاهة : المُزاح وماتستريح به النفوس وهى فى الكلام كالفاكهة فى الطعام . حصائد الألسنة : شرّ كلامها وقطعها فى أعراض الناس، وأراد ماجاء فى حديث معاذبن جبل رضى الله عنه ،قال: قلت: يارسول الله ، إنا لَنؤاخذ بما نتكلم؟ فقال: «ثكلتك أمّك يامعاذ! هل يَكُبُّ الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم!» فدعا الله أن يتمّ سعده بأن يؤمِنَه عادية الألسنة . والحصائد فى الأصل : جمع حصيدة وهى الحُزْمة من الزرع المحصود فهى فَعيلة بمعنى مفعولة ، والحصيد : الشيء المحصود .

نكفى : نمنع . غوائل : قواتل ومهلكات ، واحدها غائلة ؛ وغالته المنيّة أهلكته. الزخرفة : تزيين الباطل ، وأصلها تزيين الشيء بالزُّخرف وهوالذهب . نَرِد: نقصد . مورد مأثمة : موضع إثم ، والمورد أصله الموضع يُشرب منه الماء . مندمة : ندم . نرهق : تُتّهم ونعاب : والزهق : العيب ، وتبعة : خطيئة يتبعه ضرها بعد الموت . معتبة : سخط ، وهى من العتاب ، وهو تقبيح القول على جهة الإشفاق ، وأصله من عتبتُ الأديمَ ، أى رددته إلى الدبّاغ ليصلح ، ومنه: إنما يعاتب الأديمُ ذو البَشَرة[1] . ويقال: عتب علىّ فى كذا عتباً فأعتبتُه ،أى رجعت إلى مايريد وأرضيته . وباء « تبعة » وتاء « معتبة » يكسران ويفتحان . نلجأ : نُحْوَج . معذرة : اعتذار . بادرة : سَقْطه وزَلّة ، وقد بدرت الكلمة والفعلة :

(١) الميدانى ١ : ٤٠ قال : « والمعاتبة : المعاودة ، وبشرة الأديم : ظاهره الذى عليه الشعر ، أى أن ما يعاد إلى الدباغ من الأديم ، ما سلمت بشرته » .

خرجت من غير أن يدبّر موقعها ، وفلان تُخشَى بوادره ، أى فلتاته .

* * *

اللَّهُمَّ فَحَقِّقْ لَنَا هَذِهِ الْمُنْيَةَ ، وَأَنِلْنَا هَذِهِ الْبُغْيَةَ ، وَلَا تُضْحِنَا عَنْ ظِلِّكَ السَّابِغِ ، وَلَا تَجْعَلْنَا مُضْغَةً لِلْمَاضِغِ ؛ فَقَدْ مَدَدْنَا إِلَيْكَ يَدَ الْمَسْأَلَةِ ، وَنَحْنَا بِالاسْتِكَانَةِ لَكَ وَالْمَسْكَنَةِ ، وَاسْتَنْزَلْنَا كَرَمَكَ الْجَمَّ ، وَفَضْلَكَ الَّذِى عَمَّ ، بِضَرَاعَةِ الطَّلَبِ ، وَبِضَاعَةِ الْأَمَلِ . ثمَّ بِالتَّوَسُّلِ بِمُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْبَشَرِ ، وَالشَّفِيعِ الْمُشَفَّعِ فِى الْمَحْشَرِ ، الذِى خَتَمْتَ بِهِ النَّبِيِّينَ ، وَأَعْلَيْتَ دَرَجَتَهُ فِى عِلِّيِّينَ . وَوَصَفْتَهُ فِى كِتابك الْمُبِينِ ، فَقُلْتَ وَأَنْتَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[1] . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْهَادِينَ ، وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ شَادُوا الدِّينَ ، وَاجْعَلْنَا لِهَدْيِهِ وَهَدْيِهِمْ مُتَّبِعِينَ ، وَانْفَعْنَا بِمَحَبَّتِهِ وَمَحَبَّتِهِمْ أَجْمَعِينَ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ .

* * *

المُنية : ما يُتمنّى . والبُغية : مايطلب . أَنِلْنا : أعطنا . تُضْحِنَا : تكشِفْنا . ظلّك السابغ : سترك المديد ، وأصلُ الظلّ الستر ، والموضع الذى لاتبلغه الشمس ، وفى الحديث « ضَحَا ظلّه » ، أى عدم فانكشف موضعه للشمس . مضغة : لقمة ، وكلّ مايمضغ لُقْمة ، والماضغ هنا : العائب الآكل أعراضَ الناس ، وجعل العِرْض حين يعيبه مُضغة له ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لمَّا عُرِج

(١) التكوير ١٩ ـ ٢١ .

بى مررتُ بأقوامٍ لهم أظفار من نحاس يخمشُون وجوههم وصدورهم ، فقلت : مَنْ هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : « هؤلاء الذين يأكلون لحومَ الناس ويقعون فى أعراضهم » . المسألة : الحاجة والفقر . بخعْنا : أقررنا ، وبخع له بحقِّه أقرّ به ، وبخع نفسَه : قتلها غيظا ، ومنه : ﴿فلعَلَّكَ بَاخِعٌ نفسَك﴾[1] فالمتعدّية بالباء غيرُ المتعدّية بنفسها . الاستكانة : الخضوع . والمسكنة : الفقر والذلة . استنْزلنا : طلبنا أن تُنْزِل علينا ، والاستنزال السؤال بتلطّف . والجمّ : الكثير . نضالك : إحسانك . عَمَّ : شَمَل . ضراعة : ذلة . البضاعة : المال يُتَّجر به . الأمل : الرجاء ؛ يقول إن تجارتنا التى نحصل بها منك إحسانك ، رجاؤنا توكُّلنا عليك . التوسُّل : التقرب . البشر : الخلْق ، وهو فى الأصل جمع بَشَرة ، وهى ظاهرة الجلد ، وسمُّوا بشرا ، لظهور أبشارهم خلافا لغيرهم من الحيوان . الشفيع : الطالب لغيره . والمشفَّع : الذى أُعْطِىَ الشفاعة ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : «خُيِّرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لأنَّها أعمُّ وأكفى ، أترونها للمؤمنين المُتَّقين ! لا ولكنها للمذنبين المتلوّثين الخطائين »[2] .

المحشر : موضع اجتماع الناس يوم القيامة ، والحشر أيضا : الحشر وهو الأشبه باليوم . ختمت : جعلته خاتمهم ، أى آخرهم . درجته : منزلته . عليّين : أعلى الجنة وكأنه جمع علِّيّة . المُبين : المبيّن . رسول كريم ، قيل : هو جبريل ، وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم . مكين : رفيع المنزلة . ثَمّ : معناه هناك ، قال الزّجاجى : هى إشارة إلى ما كان مترامياً من الأماكن ، والأشهر أن المراد به فى الآية جبريل ؛ ولذا رجع الحريرى آخرا فأزال الآية من كتابه ، واستشهد بما اتفق مشاهير المفسرين على أن المراد به نبينا صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله تعالى : ﴿وما أرْسَلْنَاكَ إلَّا رَحْمَةً للعالمين﴾[3] ، وليس رجوعه عن القول

(١) الكهف ٦ .
(٢) نقله فى الجامع الصغير ١ : ١٨ .
(٣) سورة الأنبياء ١٠٧

ليعيب ، بل هو حسن ، إذ كان الرجوع عن الخطأ إلى الصواب واجباً ، إلا أن الثابت عند ابن جهور ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ ؛ قال ابن عباس رضى الله عنهما : هو جبريل وهو الرسول لمحمد بالقرآن . ذِى قُوَّة : لأنه قلع بأحد جناحيه أربعَ مدائن لقوم لوط ؛ وهى سَدُوم ودامورا وصابورا وعمُّورا ؛ فى كل مدينة مائة ألف إنسان سوى مافيها من الدوابّ والأنعام . آله ، أى أهله وأصله «أأل» فأبدلت الهمزة ألفاً ،وأكثر ماتضاف إلى الظاهر ، وقد سُمِع إضافتُها إلى المضمر فى الشعر والكلام الفصيح ، خلافاً لأبى جعفر النحاس وأبى بكر الزُّبيدى، فإنهما منعا من إضافتها إلى المضمر ، وأكثرهم على أن همزتها مبدلة من هاء «أهل» وصوابه أنّها أصل فى بابها ،من آل يئول إذا رجع لأنهم يرجعون إليه ويُرجع إليهم . الهادين : المرشدين إلى طريق الخير ، وقد هديته الطريق ، إذا أرشدته . شادوا : رفعوا وبنوا . هديه وهديهم : طريقته وطريقتهم ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم « اللهَ اللهَ فى أصحابى ، لاتتّخذوهم غَرَضاً بعدى ، فمنْ أحبّهم فبحبّى أحبّهم ، ومَنْ أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن اذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه » . جدير : حقيق .

* * *

وَبَعْدُ ، فَإِنَّهُ قَدْ جَرَى بِبَعْضِ أَنْدِيَةِ الْأَدَبِ الَّذِى رَكَدَتْ فِى هَذَا الْعَصْرِ رِيحُهُ ، وَخَبَتْ مَصَابِيحُهُ ، ذِكْرُ الْمَقَامَاتِ الَّتِى ابْتَدَعَهَا بَدِيعُ الزَّمَانِ ، وَعَلَّامَةُ هَمَذَانَ رحمه الله تَعَالَى . وَعَزَا إِلَى أَبِى الْفَتْحِ الْإِسْكَنْدَرِىِّ نَشْأَتَهَا ، وَإِلَى عِيسَى بْنِ هِشَامٍ رِوَايَتَهَا ، وَكِلَاهُمَا مَجْهُولٌ لَا يُعْرَفُ ، وَنَكِرَةٌ لَا تَتَعَرَّفُ .

* * *

أندية : مجالس واحدها نديّ ، والنَّديّ والنادى والمنتدى : مجلس القوم

للحديث ، وقيل هو من النَّدَى وهو الكرم ، لأنهم يُقصدون فيه فيُعطون . وقيل : هو من النداء الذى هو الصوت لأنه ينادِى فيه بعضُهم بعضاً ليجتمعوا . وقيل : هو من النَّدَى وهو العَرَق لأن الداخل فيه يحتشم فيعرَق. والأدب: معرفة الأخبار والأشعار، وفلان أديب ، إذا كان متفنِّناً مشاركا. ركدت: سكنت ، والمقامات: المجالس، واحدها مَقامة، والحديث يُجتمع له ويجلس لاستماعه يسمّى مقامة ومجلساً ، لأن المستمعين للمحدّث مابين قائم وجالس ، ولأنّ المحدّث يقوم ببعضه تارةً ، ويجلس ببعضه أخرى ؛ قال الأعلم : المقامة المجلس يقوم فيه الخطيب يحضّ على فعل الخير .

[بديع الزمان الهمذانىّ]

ذكر البديعَ أبو منصور الثعالبى فى يتيمته، فقال : « بديع الزمان هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الهَمَذانى ، مفخر هَمَذان ، ونادرة الفلك وبِكْر عُطارد ، وفريد الدهر ، وغُرّة العصر ؛ ومَنْ لم يُلْفَ نظيرُه فى ذكاء القريحة وسرعة الخاطر وشرف الطّبع وصفاء الذهن وقوّة النفس، ولم يدرك قرينُه فى ظرف النثر ومُلَحه وغرر النّظم ونكته ، ولم يُرْوَ أنَّ أحداً بلغ مبلغه من لُبِّ الأدبِ وسِرِّه ، أوجاء بمثل إعجازه وسحره ، فإنه كان صاحب عجائب ، وبدائع وغرائب ، فمنها أنه كان يُنشَد القصيدة لم يسمعها قطّ ، وهى أكثر من خمسين بيتاً ، فيحفظها كلَّها ، ويوردها إلى آخرها، لاينخرم حرف منها . وينظر فى الأربع والخمس الأوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ، ثم يعيدها عن ظهر قلبه هذا ويسردها سرداً . وكان يُقترَح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة فى معنى غريب وباب بديع ، فيفرغ منها فى الوقت والساعة والجواب عمَّا فيها، وكان ربَّما يكتب الكتاب المقترَح عليه فيبتدئ بآخر سطوره ، ثم همَّ جرّا إلى الأوّل ، ويخرجه كأحسن شىء وأملحه ، ويوشّح القصيدة الفريدة من قبله بالرسالة الشريفة من إنشائه ، فيقرأ من النظم النثرَ ، ومن النثر النظم ، ويعطى القوافى الكثيرة ، فيصل

بها الأبيات الرشيقة . ويُقترح عليه كلّ عروض من النظم والنثر فيرتجله في أسرع من الطرف ، على ريق لا يباعه ، و نَفَسٍ لا يقطعه ؛ وكلامه كلّه عفو الساعة وفيض اليد ومسارقة القلم ومجاراة الخاطر. وكان مع هذا مقبول الصورة . خفيف الرّوح ، حسن العشرة ناصع الظَّرْف ، عظيم الخُلق ، شريف النفس ، كريم العهد ، خالص الودّ ، حلو الصداقة ، مرّ العداوة . فارَقَ همَذان سنة ثمانين وثلثمائة وهو مقتبل الشبيبة ، غضّ الحدَاثة . وقد درس على أبي الحسين بن فارس ، وأخذ عنه جميع عنده واستنفذَ علمه[1] . وورد حضرة الصاحب أبي القاسم بن عبّاد ، فتزوّد من ثمارها ، وحسن آثارها . وورد نيسابور في سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة[2] ، فنشر بها بَزَّه ، وأظهر طرزَه ، وأمْلَى أربعمائة مقامة نحاها أبا الفتح الإسكندريّ في الكُدْيَة وغيرها ، وضمّنها ماتشتهي الأنفس ؛ من لفظٍ أنيق قريب المأخذ بعيد المرام ، وسجْع رشيق المطلع والمقطع كسجع الحمام . وجِدٍّ يروق فيملك القلوب ، وهزلٍ يشوق فيسحر العقول ... [3] ثم ألقى عصاه بهَرَاة ، فعاش فيها عيشة راضية وحين بلغ أشده ، وأربى على أربعين سنة ؛ ناداه الله فلباه ، وفارق دنياه في سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة ؛ فقامت نوادب الأدب ، وانثلم حدّ القلم ، وبكاه الفضائل مع الأفاضل ، ورثاه الأكارم مع المكارم ؛ على أنه مامات من لم يمت ذكره ، ولقد خلد مَنْ بقَى على الأيام نظمُه ونثره ؛ والله عزّ وجل يتولاه بعفوه وغفرانه ، ويحيّيه بروْحه وريحانه »[4]

---

(١) اليتيمة : « واستنفد علمه ، واستنزف بحره » .

(٢) في ط : « وولى » ، تحريف ، والعبارة في اليتيمة : « ثم قدم جرجان ، وأقام بها مدة على مداخلة الإسماعيلية والتعيش في أكنافهم ، والاقتباس من أنوارهم ، واختص بالدهقذا أبي سعد محمد بن منصور أيده الله تعالى ، ونفقت بضائعه لديه ، وتوفر حظه من عادته المعروفة في إسداء المعروف ، والإفضال على الأفاضل . ولما استقرت عزيمته على قصد نيسابور أعانه على حركته ، وأزاح علله في سفرته فوافاها في سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة . . . » .

(٣) حذف المؤلف هنا من كلام الثعالبي مايزيد عن صفحة .

(٤) يتيمة الدهر ٤ : ٢٤٠ ـ ٢٤٢ .

وذكر الحصرىّ رحمه الله فى كتاب الزهرِ أن الذى سبّب للبديع رحمه الله تأليف مقاماته ، هو أنه رأى أبا بكر بن الحسين بن دريد قد أغْرَب بأربعين حديثاً ، ذكر أنه استنبطَها من ينابيع صدره ، وانتخبها من معادِن فكره ، على طبع العرب الجاهليّة ، بألفاظ بعيدة حُوشيّة ، فعارضه البديع بأربعمائة مقامة ، لطيفة الأغراض والمقاصد ، بديعة المصادر والموارد[1] . انتهى كلامه .

والذى جاء بها ، فيه قلة الإمتاع للسامع من حديثها ، وفيها مقامات لا تبلغ عشرة أسطار ، فجاءت مقامات الحريرىّ أحفل ، وأجزل وأكمل ؛ فلذلك فضلت البديعيّة. وقد صرح علماء الأدب فى كتبهم بتفضيل البديع على نُظرائه من أهل زمانه ، ولقبه بالبديع يدلّ على قدره الرفيع ، قال :

وَقَلَّمَا أبصرتْ عيناك من رجلٍ إلا ومعناه إنْ فتَّشت فى لَقَبِـهِ

وسئل بعض علماء الأدب من أهل عصرنا عن الحريرىّ والبديع ، فقال : لم يبلغ الحريرى أن يسمى «بديع يوم» ؛ فكيف يقارِن بديع زمان !

وجرى ذكر مقاماته فى مجلس بعض أشياخنا ، وكان حافظاً أديباً ، فقال : مقامات البديع يحكىَ أنها ارتجال ، وأنّ البديع كان يقول لأصحابه فى آخر مجلسه: اقترِحوا غرضاً نبنى عليه مقامةً ، فيقترحون ما شاءوا ، فيملى عليهم المقامة ارتجالا فى الغرض الذى اقترحوه؛ وهذا أقوى دليل إن صح على فضل البديع .

قوله علّامة : أى كثير العلم ، وهى بِدْيَةٌ للمبالغة .

[ذكر همَذان]

وهمَذان ، بفتح الميم ونقط الذال : بلد بخراسان . وقيل : همَذان من كُور الجبل . وبلَد همذان واسع جليل القَدْر كثير الأقاليم والكُوَر ، افتُتح سنة ثلاث وعشرين ، ويشرب أهلُها من عيون وأودية . وقال اليعقوبىّ : من أراد السَّير من الدِّينَور إلى همَذَان سار متنزّهاً إلى موضع ، يقال له : أسد آباذ مرحلتين —

(١) زهر الآداب ٢٦١ .

ومن أسد آباذ إلى مدينة هَمَذَان مرحلتان ـ وهى كثيرة البرد . وقال فيها ابن خالويه ـ وهو هَمَذانىّ ، واستوطن حلَب عند بنى حمدان:

إذا همذانُ اعترَّها البردُ وانقضَى ... برغمك أيلولٌ وأنت مقيمُ
فعيناكَ عَمْشَاوانِ وَأَنْفُكَ سائلٌ ... ووجهك مسودّ البياض بهيمُ
بلادٌ — إذا ما الصيفُ أقبل — جنةٌ ... ولكنَّها عند الشتاء جحيمُ

ولبعضهم :

هَمَذَان متلفة النفوس ببردِها ... والزَّمهرير ، وحرُّها مأمونُ[1]
غلَب الشتاء مصيفَها وخريفَها ... فكأنَّما تمُّوزها كَانُونُ

وكل الرواة يروونها « هَمَذان » بفتح الميم ونقط الذال ، إلا ابن اللّبانة فإنى رأيت فى شرحه: هَمْدَان بسكون الميم ودال غير معجمة ، وهى قبيلة يمانية ، قال فيها علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وكرّم وجهه :

ولو كنت بواباً على باب جنّةٍ ... لقلت لِهَمْدان ادخُلوا بسلامِ[2]

والرواية الأولى أثبت . قوله : « عزا » أى نسب يقال : عزيته عَزْياً ، وعزوته عزوًا : نسبته ؛ واعتزى إلى بنى فلان : انتسب إليهم ، وأبو الفتح فى البديعيّة بمنزلة أبى زيد فى الحريرية ، وعيسى بمنزلة الحارث . نشأتها : صنعتها. روايتها : إسناد أحاديثها . والنّكرة التى لا تتعرف ، هى فى غير الأسماء .

* * *

فأشار مَنْ إشارَتُهُ حُكْمٌ ، وَطَاعَتُهُ غُنْمٌ ، إِلَى أَنْ أُنْشِئَ مَقَامَاتٍ أَتْلُو فِيهَا تِلْوَ الْبَدِيعِ ، وَإِنْ لَمْ يُدْرِكِ الظَّالِعُ شَأْوَ الضَّلِيعِ ، فَذَاكَرْتُهُ بِمَا قِيلَ فِيمَنْ أَلَّفَ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ ، وَنَظَمَ

(١) معجم البلدان ٨ : ٤٧٦ ، ونسبها إلى كاتب بكر .
(٢) من مقطوعة له ، أوردها ابن رشيق فى العمدة ١ : ٣٤

بَيْتاً أَوْ بَيْتَيْنِ ، واسْتَقَلْتُ مِنْ هَذا المَقَامِ الَّذِي فِيهِ يَحَارُ الْفَهْمُ ، وَيَفْرُطُ الْوَهْمُ ، وَيُسْبَرُ غَوْرُ الْعَقْلِ ، وَتَبِينُ قِيمَةُ الْمَرْءِ فِي الْفَضْلِ ، وَيُضْطَرُّ صَاحِبُهُ إِلى أَن يَكُونَ كَحَاطِبِ لَيْلٍ ، أَوْ جَالِبِ رَجْلٍ وَخَيْلٍ ، وَقَلَّمَا سَلِمَ مِكْثَارٌ ، أَوْ أُقِيلَ لَهُ عِثَارٌ .

* * *

[السبب فى إنشاء الحريرىّ للمقامات]

غُنْم : غنيمة . وحكى الفنجديهى فى شرحه للمقامات : أن الذى أشار عليه بها هو شرف الدين أنوشروان بن خالد وزير الخليفة ، أمره بإنشاء المقامات وحكم عليه بها . وقيل : أمره بها صاحب البصرة ووالِيها . وقال : سمعتُ الشيخ الثقة أبا بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النَّقُور البزَّار ببغداد يقول : سمعت الشيخ الرئيس أبا محمد الحريرى يقول : أبو زيد السَّروجىّ كان شحّاذاً بليغاً ، ومكدياً فصيحاً ، ورد علينا البصرة ، فوقف يوماً فى مسجد بنى حَرام يتكلّم ، ويسأل شيئاً ، وكان بعضُ الولاة حاضراً ، والمسجد غاصٌّ بالفضلاء ، فأعجبهم بفصاحَته ، وحسن صناعته وملاحَته ، وذكر أسر الروم ابنتَه ، كما ذكرنا فى المقامة الحرامية وهى الثامنة والأربعون ، قال : فاجتمع عندى عشيّة ذلك اليوم جماعة من معارف فضلاء البصرة وعلمائها ، فحكيتُ لهم ما شاهدتُ من ذلك السائل ، وسمعت من لطافة عبارته فى تحصيل مُرَادِه ، وطَرافة إشارته فى تسهيل إيراده ؛ فحكى كلّ واحد من جلسائى أنه شاهدَ مِن هذا السائل فى مسجده مثل ما شاهدت ، وأنه سمع منه فى معنى آخر فصلاً أحسن مما سمعت . وكان يغير فى كلّ مسجد زِيَّهُ وشكله ، ويظهر فى فنُون احتياله ، فعجبوا من جريانه فى ميدانه ، وافتتانه فى إحسانه ؛ قال الحريرىّ : فابتدأت فى إنشاء المقامة الحرامية تلك الليلة ، حاذياً حَذْوَهُ ، فلمّا فرغتُ منها أقرأتُها جماعةً من الأعيان ، فاستحسنوها غاية الاستحسان ،